٢٥ـ كن من أهل المعروف...

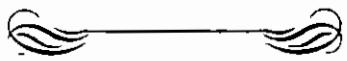

اعلم يا بني ويا بنيتي أن "المعروف ضد المنكر".[١]

وعلى هذا يا بني يشمل المعروف كل أوجه الخير، ومكارم الأخلاق، وكل ما أمر به الرحمن.

وأهل المعروف هم: من التزموا بفعل كل ما أمروا به، حتى عُرفوا به، وعُرف بهم.

وهم لا ينتظرون من الخلق مقابل أفعالهم، فهم لا ينتظرون مقابل الخير خيرًا، ولا مقابل الحسنة حسنة، ولا حتى ذكر أفعالهم، وإلا أشبهوا التجار.

وأهل المعروف يا بني هم محل عناية الله تعالى، وهم أحبابه، وأولياؤه، الذين لاخوف عليهم، لا في الدنيا ولا في الآخرة. فهم محل أمانه، وتفضل رضوانه.

لا يفزعون حين يفزع الناس، ولا يحزنون حين يحزن الناس.

بل هم أمان لمن يفزع إليهم، يعطون من يسألهم، ويجيبون من يدعوهم، ويعرفون لأهل الفضل حقهم. وكأنهم هم المعنيون بقوله ـ ﷺ ـ : "**مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ وَمَنْ سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ وَمَنْ صَنَعَ**

(١) أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري/ لسان العرب/ بيروت دار الفكر ط الأولى١٩٩٠م ٩/ ٢٣٩و والقاموس المحيط ٣/ ١٦٨ محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي/ مختار الصحاح/ القاهرة مؤسسة المختار ط الأولى٢٠٠٧م ص٢٥١.

إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ". (١)

وقد دعا النبي ـ ﷺ ـ لكل من فعل معه خيرًا وعرف له قدرًا، مع أن النبي ـ ﷺ ـ هو صاحب المنة على كل موحد، ولا يجب عليه تجاه أحد شيئًا، بل هو الموجب عليهم تقديره ومحبته وطاعته وتوقيره.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْخَلَاءَ فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا قَالَ: "مَنْ وَضَعَ هَذَا فَأُخْبِرَ فَقَالَ اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ". (٢)

وفي رواية أخرى عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ، فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا مِنَ اللَّيْلِ قَالَ فَقَالَتْ مَيْمُونَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَضَعَ لَكَ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ". (٣)

وفي غزوة أُحد وعندما كان سعد بن أبي وقاص يرمي سهامه مدافعًا عن النبي ـ ﷺ ـ : "اللَّهُمَّ سَدِّدْ رَمْيَتَهُ وَأَجِبْ دَعْوَتَهُ". (٤)

ودعا لأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي خَدَمَهُ عَشرَ سِنِيْنَ قَائِلاً: "اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ". (٥)

اعلم يا بني أن أهل المعروف هم قوم رقت قلوبهم لله تعالى ولعباده،

---

(١) رواه ابو داود والنسائي من حديث ابن عمر.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه أحمد والحاكم في مستدركه وابن حبان.
(٤) رواه الحاكم في مستدركه.
(٥) رواه أحمد والبيهقي وابن حبان من حديث أنس.

يحنون على الضعفاء، ويواسون أهل البلاء، ويدخلون البسمة على التعساء.

وأهل المعروف هم أهل العافية والنجاة من مصيبات الدهر، وإنهم مذكورن معروفون به يوم القيامة أيضًا.

فَعَنْ أَنَسُ بْنُ مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعُ السُّوءِ وَالآفَات وَالْهَلَكَات، وَإِنَّ أَهْلَ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا ، هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الآخِرَةِ " .(١)

وكذلك يا بني من عُرف بالمنكر في الدنيا، فإنه موسوم به يوم القيامة فَعَنْ سَعِيد بْنِ الْمُسَيِّب(٢) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ... وَإِنَّ أَهْلَ الْمُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا ، هُمْ أَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الآخِرَةِ " ".(٣)

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صنوان متلازمان...

اعلم يا بني أن الله تعالى لم يذكر الأمر بالمعروف إلا وذكر معه النهي عن المنكر وكأن الآمر بالمعروف، والفاعل له، يجب عليه أن يكون ممن ينكر المنكر وينهى عنه، فضلا عن اجتنابه، قال الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه ، وصححه الألباني .

(٢) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، ولد العام ١٤هـ وتوفي العام ٩٤هـ كنيته أبو محمد ، يعد سيد فقهاء المدينة والتابعين، روى عن كثير من الصحابة وبعض أمهات المؤمنين، كان شديدًا في دين الله، لا يهاب أحدًا، رفض أن يزوج ابنته لابن عبد الملك بن مروان والي المدينة في ذلك الوقت، وزوجها لرجل فقير، ذو صلاح، وكان أحرص الناس على صلاة الجماعة.

(٣) رواه البيهقي

عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران :١١٠] .

وقال تعالى:﴿ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[آل عمران ١١٤ - والتوبة : ٧١] .

وقال تعالى:﴿ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة:١١٢] .

وقال تعالى:﴿ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ ﴾ [الحج:٤١] .

وقال تعالى:﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [لقمان:١٧].

مقدار المعروف...

اعلم يا بني أن المعروف الذي أريدك أن تكون من أهله وفاعليه ليس بالأمر المكلف، ولا المرهق، وليس فوق طاقة البشر، بل يتحقق وجوده بأقل الفعال الصالحة، التي قد يحتقرها ـ لقلتها ـ عامة الناس ويستصغرونها، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ** ". (١) فما كلفة التبسم في وجوه الناس؟.

ما كلفة البشاشة وإدخال السرور على الآخرين؟

ما كلفة الكلمة الطيبة، ولين الكلام، وإدخال الطمأنينة على قلوب الآخرين؟

إن المعروف يا بني ليس ـ فقط ـ بإنفاق المال، ولا بعظيم الفعال.

---

(١)رواه مسلم .

فيمن تصنع المعروف؟

اعلم يا بني أن من يفعل المعروف ابتغاء وجه الله تعالى لا يعنيه أين يضع معروفه؟ لأنه لا يبتغي من الناس الجزاء، بل من الله وحده.

فإن فَعَل المعروف وصادف أهله، فبها ونعمت، وإن لم يصادف أهله فهو أهل للمعروف والإحسان.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "قَالَ رَجُلٌ : لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِه فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ ، لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِه فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ زَانِيَةٍ ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ ، لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِه فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ غَنِيٍّ ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ وَعَلَى زَانِيَةٍ وَعَلَى غَنِيٍّ ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ : أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِه ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ ، فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا ، وَأَمَّا الْغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ ، فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ ". (١)

أما نكران الفضل والمعروف فهو خلق اللئام، الذين لا يقرون بفضل غيرهم، ولا جميل صنيعه إليهم، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ ". (٢)

وفي ذلك يقول المتنبي:

إن أنت أكرمت الكريم ملكته ∴ وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

---

(١) رواه البخاري واللفظ له ومسلم وأحمد والنسائي .

(٢) رواه أحمد والبيهقي وابن حبان .

إن نكران المعروف والتقليل من شأنه ممن فُعل فيه، يجعل بعضًا من أهل المعروف يزهد فيه ويتركه، بل ويندم عليه، عندما يجد مقابل فعاله الصالحة النكران والجحود والجهل عليه، والاستخفاف به.

قال زهير بن أبي سلمى :

ومن يصنع المعروف في غير أهله ∴ يكن حمده ذمًا عليه ويندم

وقال الشاعر:

وزهَّدني في كلِّ خيرٍ منعته ∴ إلى النَّاس ماجرَّبت من قلَّة الشُّكر

وهناك قصة تبين خطورة أن يفعل الإنسان الخير في غير أهله، وهي أن قومًا خرجوا إلى الصيد، و بينما هم في عرض الصحراء إذ خرجت عليهم ضبع، فطاردوها فهربت منهم حتى دخلت إلى خباء أعرابي. فخرج إليهم الأعرابي وقال:ما شأنكم؟ فقالوا: صيدنا وطريدتنا، فقال: كلا والذي نفسي بيده لا تصلون اليها ما ثبت سيفي بيدي، وكان من أخلاق العرب أنهم إذا استجار بهم أحد لا يخذلونه. فرجع الصيادون وتركوه. فقام الأعرابي الى شاة عنده فحلبها وقربه إلى الضبع، وقرب إليها إناءماء فأقبلت تشرب مرة من هذا ومرة من ذاك حتى ارتوت واستراحت، وعادت لها الحياة و نامت.

فبينما الأعرابي نائم في جوف الليل إذ وثبت عليه، فبقرت بطنه، وشربت دمه وأكلت لحمه ثم تركته.

فجاء ابن عم له يزوره في الصباح وإذا به مجندل، وقد بُقر بطنه، وأُكِل قلبه، فالتفت إلى موضع الضبع فلم يرها.

فقال: هي والله التي أجارها بالأمس، فأخذ قوسه وكنانته وتبعه. فلم يزل يبحث عنها حتى أدركها فقتلها. ثم بكى على ابن عمه عند جثتها وأنشأ يقول:

وَمَنْ يَصْنَعِ المَعْرُوفَ معْ غَيرِ أَهْلِه ∴ يُـلاَقَ الَّذي لاَقَى مُجِيرُ أمِّ عَامِرِ
أدامَ لها حِيـنَ استَجَـارَتْ بقُرْبِه ∴ لها محْضَ ألبَانِ اللقَـاحِ الدَّرَائِرِ
وَأَسْمَنَهَا حَتَّى إذَا مَـا تَكَـامَلَـتْ ∴ فَـرَتْهُ بأنْيَـابٍ لَهَـا وَأَظَافِرِ
فَقُلْ لِذوِي المَعْـرُوفِ هَذَا جَزَاءُ مَنْ ∴ بَدَا يَصْنـعُ المَعرُوفَ فِي غَيْرِ شَاكِرِ

وهناك قصة أخرى في ذات المعنى. حكى بعضهم فقال: دخلت البادية فإذا أنا بعجوز بين يديها شاة مقتولة وإلى جانبها جرو ذئب. فقالت: أتدري ما هذا ؟ ، فقلت: لا.

قالت: هذا جرو ذئب أخذناه صغيرًا، وأدخلناه بيتنا وربيناه، فلما كبر فعل بشاتي ما ترى، وأنشدَت:

بقَرت شويهتي وفجعت قلبي ∴ وأنـت لشاتنـا ابـن ربيب
غذيت بدرها ونشأت معهـا ∴ فمن أنبـاك أن ابـاك ذيـب
إذا كان الطباع طبـاع سوء ∴ فلا أدب يفـيد ولا أديب

من فوائد المعروف...

١ـ قرب فاعله من الله تعالى.

٢ـ الذكر الطيب في الدنيا والآخرة.

٣ـ صفة من صفات المؤمنين الصادقين.

٤ـ المعروف يقي صاحبه الميتة السوء.

٥ـ المعروف يقي صاحبه من الهلكات والآفات.

٦ـ المعروف يجعل صاحبه من الأخيار.

٧ـ المعروف يجعل صاحبه من المفلحين.

٨ـ المعروف يجعل صاحبه من الصالحين.

٩ـ المعروف يجعل صاحبه محبوبًا مألوفًا عند الناس.

١٠ـ المعروف من عزائم الأمور التي لا يقوى عليها إلا شديد الإيمان.

١١ـ المعروف سبب لرحمة الله تعالى بفاعله.

١٢ـ المعروف سبب من أسباب التمكين في الأرض.

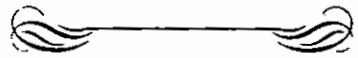

obeikandl.com